

## القسم الرابع

# العالم الإسلامي محاولات يأسئة

● اعلان القاهرة الإسلامي

● في تشخيص الحالة

● علماء السلطة وتسليط الجهلاء

obeikandi.com

## في تشخيص حالة العالم الإسلامي

لم يكن المؤتمر الإسلامي الكبير الذي انعقد في القاهرة في عام ١٩٩٢ مؤتمراً عادياً . ومن الممكن أن نعتبره - دون تجاوز - نقطة انطلاق جديدة في العمل الإسلامي بمعناه الشامل : جغرافياً ، سياسياً ، وفكرياً - فليس سهلاً أن يلتقى علماء المسلمين من ١٠٠ دولة ليفكروا معاً ويناقشوا ما صار إليه حالهم ، في زمن يجري فيه تغيير تاريخ وجغرافيا كوكب الأرض ولذلك ساد بين اعضائه احساس بأنه فرصة نادرة ، وقد تكون فرصة أخيرة ، لبحث كيفية انقاذ ما يمكن انقاذه .

وطول أيام المؤتمر الكبير سيطر على الجميع شعور قوى بالخطر ، فالعالم الإسلامي بمقياس المساحة والسكان عالم كبير ، ولكنه صغير جداً ، وغائب ، بمقياس القوة والتأثير في شئون العالم أو حتى في شئون حاضره ومستقبله ، وإن كانت لا تنقصه عوامل القوة ، إلا أنها قوة خاملة ومعطلة لأسباب كثيرة . كان الخطر المائل ان العالم يعاد تقسيمه ، فتختفى فيه دول ، وتظهر دول أخرى ، وتنتهى صراعات وتنشأ صراعات جديدة ، والدول الكبرى تتجه إلى مزيد من القوة من خلال إنشاء كيانات كبيرة سياسية واقتصادية ، بينما يزداد العالم الإسلامي انعزالياً وضعفاً ، ويفقد يوماً بعد يوم قدرته على التأثير في السياسة الدولية وفي خرائط العالم الجديد التي يعاد رسمها ، وتحديد مواقع القوة والانكسار فيها يجري اعدادها في غيبة العالم

الإسلامى كله ، بل أن مستقبل العالم الإسلامى تتم صياغته على أيدي من يملكون القوة ، وهم جميعاً من خارجه . . ثم هناك مأس جفت الدموع بكاء من أجلها ، ابتداء من العذاب والتشريد الذى يلاقه الفلسطينيون من الاحتلال الإسرائيلى ، إلى جرائم الاغتصاب المنظم للمسلمات من بنات البوسنة فى معسكرات اعداها الصرب ، لذلك بعد أن تفتق ذهنهم عن وسيلة يعجز الشيطان نفسه عن الوصول إليها ، هى أن يكرهوا نساء المسلمين على أن يحملن فى أرحامهن أجنة صربية ، وبذلك ينتهى شعب البوسنة من الوجود وينتهى المسلمون فى هذه المنطقة من البلقان . . وما من صحيفة أو مجلة أمريكية أو أوروبية إلا وتخصص كل يوم صفحات لهذه الجريمة البشعة التى تضاءلت بجانبها جرائم الصرب الأخرى من قتل الرجال المسلمين وتعذيبهم وتشريدهم وحرق بيوتهم . . يضاف إلى القائمة ما يلاقه المسلمون فى الهند ، وبورما ، بل وفى دول أوروبا من اضطهاد . . وفوق كل هذا العذاب يأتى الخلاف بين الدول الإسلامية لبيد ما تبقى من طاقاتها ويحول اهتمامها من التوجه إلى أعدائها إلى التوجه إلى دول اسلامية لتناصبها العداء ، ثم يزداد الأسى مع ما وصل إليه الحال فى دول إسلامية نتيجة لخلافات أبناء البلد الواحد وليس أقسى على النفس من الخراب الذى يمكن أن تصل إليه أفغانستان .

فى تشخيص الحال الإسلامية كانت أصوات المتشائمين أعلى وأكثر عدداً ، حتى قيل - بحق - أن العالم الإسلامى إذا لم يتدارك أمره فسوف يفقد بعد ذلك كل قدرة على الفعل ، ولن يتبقى له فى التاريخ إلا الماضى ليعيش على أحلام المجد القديم الذى انتهى منذ قرون .

بينما تظل دول العالم الإسلامى فى الحاضر تعيش مع التخلف بكل صوره وتضيع منها فرصة اللحاق بالعصر ، بعد أن فقدت فى الماضى فرصة

المشاركة في الثورتين الصناعيتين اللتين غيرتا وجه الحياة على الأرض ، وتفقد الآن عناصر القوة والثروة التي في أيديها لتظل تستورد غذاءها ودواءها . .  
وسلاحها الذي تريد أن تحارب أعداءها .

في تشخيص الحالة الإسلامية أيضاً كان العجب من جانب العلماء أن تظل هذه الأمة في تناقضات تدل على غياب العقل ، وإلا فكيف تتمسك أمة بكتاب منزل من الله يدعوهم إلى الوحدة والتعاون بينما لا ترى في واقعهم إلا التنافر والتمزق ، وكيف يكون تعامل وتعاون الدول الإسلامية مع كل دول العالم كبيراً فيما عدا التعاون فيما بينها فيأتي في آخر قائمة كل منها ، وكيف يتحدثون عن دينهم الذي يدعو إلى السماحة وفي بلادهم الإرهاب ، أو يقولون أن دينهم دين محبة ويظهر فيهم التعصب ، ويتحدثون عن ضرورة توظيف ثرواتهم لصالح شعوبهم ويتركون هذه الثروات كلها للاطماع من كل جانب .

ماذا ينقص العالم الإسلامي ليستعيد زمام المبادرة ويعود مؤثراً في صياغة مستقبله ؟

في هذا الاتجاه طرحت أفكار كثيرة : كان أولها أن العالم الإسلامي يحتاج - قبل أي شيء آخر - إلى اجراء سلسلة من المصالحات ، مصالحة بين الحكومات في الدول الإسلامية المتنازعة ، ومصالحة ثانية بين الحكومات وشعوبها بمزيد من المشاركة والشورى واحترام حقوق الإنسان ، ثم مصالحة ثالثة بين الحكومات والتيار الإسلامي المعتدل والرشيد ، مع التشدد في إدانة وبتير كل ممارسات العنف والإرهاب بإسم الإسلام ، لأن هذا التيار الإرهابي الدخيل هو الذي يشوه صورة الإسلام في العالم ، ويسئ إليه ، ويعطى أعداء الإسلام المبرر لمحاربة الإسلام ذاته والإفتراء عليه ، وتقديمه على أنه دين لايقوم إلا بالعدوان وسفك الدماء واغتيال الخصوم . . !

وجاء الدكتور عبد الصبور شاهين ليضيف إلى المهموم همماً جديداً حين أفاض في تحليل ظاهرة تحول الماركسيين القدامى ، إلى معسكر الإسلام ، بعد انهيار معسكرهم - ليواصلوا باسم الإسلام وتحت لواء مبادئه ، نفس أهدافهم القديمة ، باشعال الصراع بين المسلمين ، وتشجيع الفوضى في المعسكر الإسلامى ، واستخدام أساليب الإثارة والتهيج لماركسية التقليدية لزيادة حدة الخلافات والمعارك الداخلية ، لكى يجدوا الفرصة مهيأة لهم لينفذوا ويسيطروا ويحكموا . وهم قادرون على تغيير جلدهم والتلون بكل لون فى سبيل تحقيق أهدافهم الخبيثة . . وهذا موضوع يحتاج إلى وقفة خاصة لكن قضايا وشجون العالم الإسلامى أكبر من أن يتسع لها حديث واحد .

ولقد كان الجهد وراء نجاح هذا المؤتمر كبيراً ، من فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، والدكتور محمد على محبوب وزير الأوقاف ، والدكتور عبد الصبور مرزوق الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وكل العاملين فى المجلس ، وكان هذا الجهد موضع إشادة رؤساء الوفود فى كلماتهم التى أجمعوا فيها على اعتبار هذا المؤتمر مؤتمراً تاريخياً .

وإذا كانت العادة ان يقال ان المؤتمرات لا تفيد ، فقد رأيت - هذه المرة - انها تفيد ، على الاقل لكى يلتقى اصحاب الهم الواحد معا ، ويتعرفوا بعضهم على بعض ، ويتبادلوا الشكوى بحثاً عن طريق للخلاص . . لو ان هذه المؤتمرات استطاعت تكوين رأى عام ايجابى بين قادة المسلمين ، ووصلت بهم إلى حالة « استبصار » بقضاياهم ودورهم . . فان هذا فى ذاته نجاح كبير .

## إعلان القاهرة الإسلامى

منذ اللحظة الأولى للمؤتمر الإسلامى الكبير الذى عقد فى القاهرة مؤخراً، واحتشد فيه أكثر من ٢٥٠ من علماء ومفكرى الإسلام ، كانت القضية المسيطرة على فكر ومناقشات الجميع هى الخطورة التى وصلت إليها ظاهرة الإرهاب باسم الإسلام ، وفى نهاية المؤتمر تبلورت المخاوف والآراء فى بيان هو الأول من نوعه صدر بالإجماع وأطلق عليه « إعلان القاهرة » وتضمن ثلاثة محاور رئيسية أولها إعادة تأكيد ما هو معروف عن الإسلام من سماحة واحترام لسائر الأديان السماوية ، ورفضه للعنف بكل أشكاله كوسيلة لفرض الرأى .

والمحور الثانى فى البيان هو تبرة الإسلام من المؤامرة الجديدة عليه التى تتمثل فى فكر الإرهاب وسلوك جماعته ، إذ لايمكن أن يرضى الإسلام عن جرائم إزهاق الأرواح ، وترويع الأمنين ، وإشاعة الرعب فى بلاد المسلمين مهما تكن الغاية نبيلة ، ذلك لأن الإسلام لايفصل بين الوسائل والغايات ، ولايمكن أن تكون وسيلة منكرة مؤدية إلى غاية شريفة ، وكان المحور الثالث فى البيان هو تنبيه العالم كله إلى أن ما يحدث من جرائم ليس إلا مؤامرة هدفها الخبيث تصوير الإسلام أمام العالم على أنه دين قتل وسفك دماء ، وأنه يحمل فى طبيعته العنف والإبذاء، وهذه الصورة لاتفيد إلا أعداء الإسلام التقليديين والجدد .

وهناك ملاحظات تستحق التأمل :

أولاً : أن العالم الإسلامي يعيش الآن ، بين تخلف يحاول التخلص منه ، ونهضة يسعى إلى تحقيقها ، وهناك قوى ودول لها مصلحة في تفجير العالم الإسلامي من الداخل ، سواء باختراقه بأفكار يمكن أن تلتبس بالأفكار الإسلامية ولكنها مع الوقت تبعد أصحابها عن الإسلام الصحيح حتى يصبحوا أعداء للإسلام وهم يظنون أنهم أشد المخلصين له . فليس في الإسلام ما يعطى لفرد أو لجماعة رخصة انتزاع اختصاص الحاكم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستخدام القوة والسلاح وليس في الإسلام ما يعطى بعض العصابات الحق في اقتحام خصوصيات الناس ، بما يمثله من خطر اجتماعي على الحرية ، ولم يقصر العلماء في أداء واجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى رأسهم علماء الأزهر الشريف - أما الذين يرون في دعوة الإسلام دعوة للفوضى ، فإنهم يجهلون ، أو يتجاهلون ، أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية لا يجب أن يتركه المجتمع كله ، وليس فرضاً على كل مسلم بذاته ، وهو اختصاص الحكام والعلماء ، وتحكمه قاعدة أن الضرر الأكبر يدفع بالضرر الأصغر ، وأنه إذا أدت ممارسته إلى جرائم أو وقوع منكر أكبر وجب تركها .

ثانياً : أن هناك محاولات قديمة منظمة ومقصودة ضمن مخططات دول كثيرة للإساءة إلى الإسلام ، سواء في الإعلام ، أو الأدب أو البحوث ذات الصيغة العلمية في ظاهرها ، وحتى من خلال الكتب المدرسية تصور اتباع الإسلام على أنهم عصابات من الإرهابيين ، والغوغاء العنثى للدماء ، كما أن هناك اجتهادات فلسفية ونظرية في الغرب تقدم الإسلام كأيدولوجية للعنف والهمجية البدائية ، والأكثر من ذلك - كما سبق أن نبه الدكتور إدوارد سعيد - فإن الإسلام يتعرض لعملية منظمة من التشويه في أوروبا رغم وجود

شخصيات ذات خبرة وتجارب مباشرة مع الإسلام مثل جوته ، وفلووير ، وماسينيون ، فإن معظم فلاسفة التاريخ الكبار من هيجل حتى شبنجلر نظروا إلى الإسلام بكثير من التحقير ، وحتى اليوم لا يزال عمر الحيام ، وهارون الرشيد ، والسندباد ، وعلاء الدين ، وحاجي بابا ، وشهر زاد ، يتصدرون قائمة الشخصيات الإسلامية التي يعرفها الأوروبيون المتعلمون ، ولم يستطع مفكر مثل كارليل أن يجعل العقل الغربي يتفهم شخصية الرسول ﷺ على حقيقتها ، فضلاً عما يظهر في الصحافة الغربية وكتابات المتخصصين على السواء من النظر إلى الإسلام على أنه قوة رجعية ، لا تهدد بالعودة إلى القرون الوسطى فقط ، بل تهدد بتدمير النظام الديمقراطي في العالم الغربي . . لقد أصبح الإسلام - كما يقول بعض مفكرى الغرب أنفسهم - غطاءً سياسياً لأشياء كثيرة غير دينية على الإطلاق ، وهناك خلط متعمد بين التعاليم الأساسية للدين الإسلامى كما وردت في القرآن الكريم ، وهو كلام الله والذي يمثل الهوية الجوهرية للدين الإسلامى وبين الممارسات الجاهلة ، أو المنحرفة ، أو المريضة التي تأتي من أقلية في العالم الإسلامى لها مثيل من المتطرفين والإرهابيين في الأديان الأخرى . ومع ذلك فإن التركيز في العالم الغربى يزداد على تيار الإرهاب المتخفى وراء الإسلام ، مع اغفال تيارات إرهابية مماثلة ، بل وأشد عنفاً وفوضوية ، تتفجر في بلدان كثيرة باسم المسيحية أو اليهودية أو باسم ديانات أخرى غير سماوية ( السيخ أقرب مثال ) .

ثالثاً : أن الجهود التي يبذلها العلماء المسلمون للتعريف بحقائق وجوهر الإسلام بلغة الغرب أقل بكثير مما ينبغى ، وهذا يدعو إلى ضرورة التعجيل بنشر ترجمة معانى القرآن الكريم ، وإعداد مشروع كبير لترجمة عدد من الكتب التي تساعد على تقديم صورة حقيقية للإسلام ، كما يدعو ذلك إلى

أن تتكاتف الدول الإسلامية لإنشاء مراكز ثقافية إسلامية جديدة في أوروبا والولايات المتحدة . للإعلام بحقائق الإسلام ومواجهة المؤامرة عليه بما يناسب العقلية الغربية ، وإذا كانت هناك مراكز إسلامية الآن في بعض المدن الكبرى في أوروبا وأمريكا ، فإنها تحتاج إلى دعم كبير وإعادة نظر في أساليب العمل لتلائم العصر ، وعندنا - كما قال وزير الأوقاف الجزائري لساسى العامورى - مؤسسات إسلامية قوية كالأزهر الشريف يمكنها عمل الكثير في هذا المجال ، ليعرف العالم أن ظاهرة الغلو في الإسلام - كما في غيره من الأديان - ليست إلا ظاهرة مرضية نتيجة العقم في التفكير ، وإذا كانت المنظومة التعليمية في العالم الإسلامي تحتاج إلى تغيير جذرى لتكون أساساً لبناء التفكير الإسلامى الصحيح ، ولتحصين المسلمين ضد الأفكار الغربية التى تعرض بخيثة وبراعة على أنها هى الإسلام ، ليس فقط في العالم غير الإسلامى ، بل أيضاً في داخل العالم الإسلامى ذاته وتجذب إقبالاً من نوعية خاصة من الشباب يجذبها كل ما هو غريب في الفكر وغير مألوف . فإن الأمر يقتضى عملاً كبيراً - كما قال وزير الأوقاف السورى عبد المجيد الطرابلسى - لعلاج الواقع المؤلم وهو أن علماء الإسلام أنفسهم مختلفون في الفروع ، وقد نجحت وزارة الأوقاف المصرية في جمعهم في هذا المؤتمر من جميع أنحاء العالم وهم محتاجون إلى تكرار اللقاء ، لكى يتقاربوا بأفكارهم وتذوب خلافاتهم ، ولا بد - كما قال وزير الأوقاف المغربى عبد الكريم العلوى - من أن يتفرغ صفوة من علماء النفس والإجتماع والجريمة لدراسة ظاهرة العنف بإسم الإسلام ، وكشف أسبابها الممتدة في عمق الواقع الاجتماعى ، والاقتصادى والسياسى ، والنفسى في العالم الإسلامى . وقد يكون عذرنا - كما قال مدير المركز الإسلامى في لندن - أن ظاهرة الإرهاب أصبحت ظاهرة عالمية ، لكن الإعلام الغربى يعرض أحداث الإرهاب في لندن وباريس ونيويورك وبون وكأنها أمور عادية ، ويعرض ما هو أقل منها

مما يحدث في مصر أو تونس أو الجزائر على أنه نهاية هذا العالم الإسلامي ،  
ومن هنا جاء إعلان القاهرة - لأنها بلد الأزهر الشريف - ليسجل بأعلى  
صوت ، أن هذا الإرهاب ليس من الإسلام ، ولكنه حرب معلنة عليه ،  
ومؤامرة ضده . . وأن الإسلام برىء بإجماع علماء الأمة من هذه الجرائم التي  
ترتكب باسمه . . وعسى أن تصل الرسالة .

وان كان هذا الاعلان خطوة بالغة الاهمية ، لانه في حقيقته رسالة لها  
قوتها ومغزاها . . مواجهة إلى العالم الغربي بالذات ، لكي يفهم ، ويتفهم ،  
حقيقة الاسلام ، ولا يستمر في الصاق التهم به ، ولا يحكم على الاسلام  
بسلوك بعض المسلمين الضالين او الشاردين . . فهو موجه ايضاً الى  
المسلمين ، والشباب منهم خاصة ، ولذلك اتمنى لو أصبح جزءاً من  
الكتب الدراسية في كل الدول الاسلامية ، لكي ينشأ كل شاب مسلم ، في  
كل بلد على معرفة حقيقة الاسلام ، ومحصنا ضد حملات الزيف والتشويه  
والتضليل التي تتبع اساليب ماهرة لاستلاب عقول الشباب .

## علماء السلطة .. وتسلب الجهلاء !

في الجلسة الختامية للمؤتمر الإسلامي الكبير الذي نظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، رأس الجلسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وفي كلمة قصيرة فجر قضية أعادت حرارة الحوار من جديد بين علماء المسلمين من مائة دولة ، عن المحاولة الخبيثة التي يقوم بها دعاة الإرهاب ومن يساندونهم بالفكر ، بإطلاق صفة «علماء السلطة» على رجال الدين المؤهلين لرسالتهم بالدراسة والخبرة في مصر وفي العالم الإسلامي ، والذين قاموا ويقومون بواجبهم في شرح أحكام الإسلام الصحيحة ، وهم أكثر الناس ادراكاً لثقل الأمانة التي يحملونها ، ويعلمون أن الله هو الذي سيسألهم عنها يوم الحساب ..

أما المحاولة الخبيثة فهدفها عزل الجماهير عن الإسلام الصحيح لتخلو الساحة للمخربين من كل نوع ، ولابد أن ينضم المثقفون إلى هؤلاء العلماء ليكشفوا المؤامرة ، ولاتضيرهم قالة السوء إذا مست أشخاصهم ، لأن الأشخاص زائلون ، ولكن لابد أن يغضبوا إذا وجدوا أن المؤامرة تسيء إلى الإسلام ذاته .

وانتقلت القضية من المنصة إلى العلماء ومستوى الدعوة في العالم .. من الذى صك هذه التسمية .. ؟ ولماذا .. ؟ وماذا يراد من ورائها .. ؟ وهل يمكن أن يكون المروجون لها من أنصار الإسلام أو من المتأمرين عليه .. ؟

مثل هذا الموضوع يجب أن يبدأ بدايته الصحيحة بمنهج البحث الجنائي - بتحديد من الذى يستفيد من شائعة وصف « علماء السلطة » على رجال الدين المتخصصين ، والذين أفنوا أعمارهم فى معرفة أسرار ودقائق القرآن الكريم وتفسيره ، والحديث الشريف وعلومه ، والتاريخ الإسلامى وأحداثه ، واللغة العربية وأسرارها ، ووقفوا جهدهم على الدعوة للإسلام المعتدل كما نزل به الوحي ، وكشف جوانب الغلو ، والانحراف ، والخطأ فى الفهم ، وكشف الجرائم التى ترتكب باسم الإسلام وتسبب إليه وإلى أهله .

القضية تحتاج إلى مناقشة علنية واسعة ، لأن الصوت المعتدل المعبر عن الصدق ، والملتزم حقاً بروح الإسلام ، هذا الصوت لا يلفت الانتباه عادة مثلما يفعل الصوت الشاذ ، وهناك صنف من الناس يبحثون عن الرأى الغريب ، وينجذبون إلى كل ما هو خارج عن القاعدة ، ومهما يكن فى هذه الظاهرة من انحراف عن الصراط المستقيم ، فإننا يجب أن نحذر من الوقوع فى شرك الظن ومداومة الحديث عنها بأن هذا الشذوذ هو القاعدة .

القضية أن لدينا قلعة للإسلام هى الأزهر ، ورجال دين مؤهلين هم رجاله ، وكتبا معتمدة لمن أراد أن يعرف حقائق الإسلام ، ولكن على الجانب الآخر هناك مجموعة أو مجموعات تريد أن تنصب نفسها فى موقع الوصاية على الإسلام ، وتفرض مفاهيمها الغربية والمنحرفة ، وتصور الآراء الضعيفة على أنها الأحق بالصدارة ، وأن الأقوال المشكوك فى صحتها على أنها التى يجب أن تكون أساس اليقين الدينى عندنا ، وأن الاجتهادات التى ضلت وأخطأت طريق الصواب يجب أن تكون لها القيادة ، وأخطر من ذلك أن هناك نوعيات جديدة من الدعاة الأذعيا غير مؤهلين ، ولم يدرسوا علوم الدين دراسة منظمة ، يتصدون الآن للفتوى بجرأة غريبة لا يقدر عليها

من في قلبه ذرة من خشية الله ، ويفرضون الحلال والحرام كما يرونه ، ولكي يجذبوا لأنفسهم مكاناً فإنهم يبدأون بإثارة الشك حول الحماة الحقيقيين للإسلام ، والحملة على الأزهر ورجاله وجهوده ، وعلى مؤلفات كبار علمائه ، لا لشيء إلا لأن الأزهر بقياداته ، وتاريخه ، وحرصه على حماية الفكر الإسلامي من الإنحراف هو العقبة أمام أطماع هؤلاء الشيوخ المزيفين الذين جعلوا أنفسهم أئمة ، ومفتين ، ولكي يعطوا مشروعية لمواقفهم التي اغتصبوها ، فإنهم يهاجمون أصحاب العلم الإسلامي الصحيح . . وليس ذلك غريباً . . اسأل المرأة الساقطة عن امرأة شريفة فإذا تتوقع أن تقول لك؟! . . واسأل «حلاق الصحة» عن رأيه في أساتذة الطب الكبار ، واسأل الجهلاء عن موقفهم من العلماء . . طبعي أن يقولوا فيهم كذبا ، هو في حقيقته ما ينطبق على القائلين أنفسهم وواقعهم .

لا نعفى الأزهر من أوجه نقص . ولكن ليست كل أموره مما يستحق النقد . . وفرق بين نقد الغيورين على الأزهر ونقد الساعين إلى هدمه . وقد نطالب بزيادة فاعليته في الحياة الدينية في مصر وفي العالم الإسلامي بإعادة هيئة كبار العلماء ، أو بأن يكون اختيار شيخ الأزهر بالانتخاب ، أو بإعادة الحياة إلى مجمع البحوث الإسلامية ليحسم قضايا معلقة بقلق الناس طول انتظارهم للرأى السديد فيها ، وهى أمور تمس حياتهم . وإذا كان هناك ما يستحق النقد في مناهج وأساليب أعداد الدعاة في الأزهر ، فهذا كله طبعي ، ولكن يجب أن يكون النقد في إطار الرغبة في دعم الأزهر ، وليس باتخاذ النقد شعاراً للتسلل والتشكيك فيه كمؤسسة هى خط الدفاع الأول عن الإسلام في الحروب المعلنة والخفية عليه ، ولأننا نسمح بالنقد - دون قيد - فإننا ينبغي أن نتصدى وبقوة لمحاولات هدم الأزهر حتى لا نتجد فرصتها لتحقيق أهدافها الشريرة ، لأن السكوت جريمة ، والخطر على الدين وعلينا - مع السكوت - سيكون فوق قدرتنا على التصور الآن وفوق قدرتنا على تحمله في المستقبل .

ان الذين يهاجمون علماء الإسلام بسلاحهم الخبيث بوصفهم « علماء السلطة » طائفتان ، الطائفة الأولى : هى الجماعات التى تريد أن تفرض الكتب الشاذة التى يروجون لها ، والمفاهيم الغربية التى يعلمونها للسذج ، والأحاديث الضعيفة التى يستندون إليها ، ولأن هؤلاء ليست لديهم مؤهلات الفقهاء والعلماء ، ولا يمكنهم طعن علماء الأزهر فى علمهم ، لأنهم أكثر الناس علماً بالإسلام ، فليس أمامهم إلا التشكيك فى النيات والحكم على الضمائر والادعاء كذباً بأن علماء الأزهر يقولون ما يقولونه ارضاء للسلطة ، ونحن نعلم أن علماء الأزهر ، بعد كل مآدرسوه ، لا يمكن أن يبيعوا ضمائرهم ، أو يخونوا أمانة العالم الذى يعرفون قدرته وعدله وهم ظالمون . . ولأن علماء الأزهر هم القادرون على كشف الزيف والمغالطات فى مقولات المتطرفين ، أصبح الأزهر ورجاله الهدف الأول للحرب التى يعلنها « علماء آخر الزمان » !

وعلماء آخر الزمان هم الذين نهنا إليهم الرسول ﷺ بحديث مشهور مفاده أن الناس سيتخذون لهم أئمة جهالا ، يفتون فى الدين بغير علم ولا بصيرة ، أما الطائفة الثانية من مهاجمى علماء الإسلام ، فهم تجار اثروا من بضاعة مغشوشة ، وجدوا إقبال الناس على الدين فجعلوا أنفسهم رجال دين ، وأصبحوا مثل الباعة الذين يفترون الأرصفة ببضاعة رخيصة أمام أكبر المحلات ، لاتجده على لسانهم إلا تشكيك الناس فى هذه المحلات الكبرى بما فيها من بضاعة اصيلة لكى تروج بضاعتهم المغشوشة . . وبئس التجارة إدعاء الإيمان والعلم بالإسلام ، والتكسب بهذه الوسيلة . .

هكذا نجد تحالف فريقين على الهجوم على الأزهر وعلمائه هما - المتطرفون والمرترقة - وبئس ما اختاروا من تجارة سوف يكشف الله زيفها ويحق الحق . . ولو بعد حين . .

## الثقافة الإتكالية .. وثقافة التغيير

عندما نقسم العالم إلى دول متقدمة ودول متخلفة ، لا نكاد نرى من الفروق بين هذه وتلك إلا في قيمة الناتج القومى هنا وهناك ، ومستوى دخل الفرد ، ودرجة التقدم التكنولوجى ، والابتكار والازدهار العلمى ، ولا نبحت في العمق ، فيما وراء هذه المظاهر من التقدم المادى ، إلى جذور التقدم - أو التخلف - المستقرة في تربة المجتمع ، وهى الثقافة . . لا أقصد الأدب والفنون وحدها ، ولكن أقصد معها ما هو أعمق وأكثر فاعلية في سلوك أبناء كل مجتمع . . أقصد القيم ( الدينية والأخلاقية والاجتماعية ) والعادات ، وكل ما يدخل في إطار معايير السلوك التى تحكم على أعمال كل فرد ، وتوجه فكره ، وتدفعه للعمل ، أو الكسل .

ويمكن أن ندرك الفرق عندما نرى العامل والموظف في بلد ينام مبكراً ليستيقظ مبكراً جداً ، قبل طلوع الشمس ، ويجرى كل فرد في طريقه إلى عمله في الموعد بالضبط دون تأخير ولو دقيقة واحدة ، ويقضى يومه كله في العمل - من الثامنة صباحاً إلى الخامسة مساءً مع ساعة راحة وغذاء ، ولا يضيع من يوم العمل دقيقة في غير العمل ، ويكون الرجل محترماً اذا كان يعمل بدقة وبسرعة ويحقق الأهداف المحددة له ، وتكون الأخلاق حميدة في هذا المجتمع اذا كانت هى الصدق ( والصدق مفترض في كل إنسان إلى أن يثبت العكس فإن كذب سقط ولا تقوم له قائمة ) وأداء الواجب ، والمجاملة

لها مجالها ولكن لاتمس حدود العمل وقواعد . فالمجاملة لا تسلب احدا حقه ، ولانعطى احدا ما ليس حقه . . مجتمعات منتجة ، ولذلك فإنها تعيش وتنفس ملتزمة بقيم انتاجية . . كل فرد معتمد على نفسه ، وعلى عمله .

وعلى الجانب الآخر ناس آخرين ، الكسل أهم ما يميزهم ، و«الشطارة في هذا المجتمع هي الإيهام بأنهم يعملون دون أن يعملوا حقيقة ، ثم يطلبون الجزاء دون عمل ، ويبحثون عن الثروة التي تتحقق بغير جهد ( تسقط من السماء ) ، تأتي من المجهول ( بركة دعاء الوالدين ) . . او تأتي بالشطارة «وتفتيح المخ» بالسرقة ، والاختلاس ، والرشوة . . الخ ولو أردنا أن نضع الثقافة المصرية - بالمفهوم الشامل الواسع للثقافة - فسوف نجد لها ثقافة اتكالية ، ويكفي أن نلاحظ - كما يشير الدكتور إبراهيم شحاته - إلى ما فيها من عناصر تحض على التساهل ، بل والتسيب ، ابتداء من المدرسة والجامعة ، حيث من تقاليدنا المدرسية والجامعية إلغاء جزء من المقررات ، بدعاوى التسيير والتسهيل ( أو الاستسهال أو تملق الكسالى ) وابتدعنا نظاماً آخر أعجب هو « الرأفة » بحيث نعطي درجات بدون مقابل لمن لا يستحقها من الطلبة الفاشلين الراسيين لنعودهم على أن الجزاء يمكن أن يكون هبة ، أو صدقة ، أو منحة بلا مقابل ، فليس غريباً أن يظل الفرد طوال حياته يطلب « الرأفة » بأن يأخذ علاوة وترقية ووظيفة لا يستحقها ، ثم ابتدعنا ما هو أعجب ان الطالب الذى استنفذ جميع فرص الامتحانات وفشل فيها يطالب ويلح ، ويصرخ . . ويضغط إلى أن ترضخ له الجهات المسئولة عن تنفيذ القواعد فيحصل على فرصة أو أكثر إضافية بعد استنفاد جميع الفرص ، وهكذا اعتاد الناس المطالبة بخرق القواعد - خارج سياق المنطق والقواعد - وأدى ذلك إلى عدم احترام المنطق والثقة فى أى قاعدة ، وأصبح يعلو أحياناً

على صوت أصحاب الحقوق اصوات عالية لمن لاحق لهم يطلبون ماليس  
من حقهم دون ادنى شعور بالخجل .

وتساوى بذلك المجتهد مع الكسلان ، والذكى مع الغبى ، وصاحب  
الموهبة مع معدوم المواهب . . أهم من ذلك أن الاستثناء صار هو الأقوى  
والأعم . . وليس غريباً بعد ذلك أن يستمر هذا التفريط والتساهل ،  
فينعكس على الإنتاج والخدمات ، وينتشر التسامح فى الخطأ ويكون هو  
الأساس ، ويكون عقاب المخطيء هو الاستثناء ، واحتمال فصل موظف أو  
عامل مهما ارتكب من أخطاء وانحرافات فى عداد المستحيل . . وعندما  
تأتى الأعياد ، والمناسبات ، حتى زيارة مسئول يحصل العاملون على  
مكافآت ليست مقابل عمل أو تحقيق أهداف ، وليست مقصورة على من  
يعمل ويجتهد ويلتزم ، ولكنها للجميع ، يتساوى العامل والعاطل ، وأكثر  
من ذلك أن المكافآت تصرفها جهات العمل بصرف النظر عن أوضاعها  
المالية ، ولا يسأل أحد ان كانت هذه الجهة تخفف ربحاً أم خسارة . . تعطى  
من فائض ما لديها أم تسحب على المكشوف وكل ما يهم الجميع أن يأخذ  
الجميع ويرضوا . ولا يهمهم كيف أخذوا ولاننتائجهم . . وكل كلام عدا ذلك  
بدعة وضلالة .

هذه بعض مظاهر الثقافة الإنكالية ، هناك ثقافة راکدة تؤسس مجتمعاً  
راكدأ . . هناك وثقافة حية تؤسس مجتمعاً مليئاً بالحياة وإذا أردنا التغيير  
حقيقة ، فليس أمامنا إلا تغيير العقول . . القيم . . طريقة التفكير  
وأسلوب العمل . . النظرة إلى مفاهيم الحلال والحرام ليدخل فيها معنى أن  
من يحصل على أجر بدون عمل فهو حرام ، ومن يحصل على درجة أو وظيفة  
لا يستحقها بجهد أو يحصل على مكافأة أو أجر إضافى دون أن يبذل جهداً  
إضافياً فهو حرام ، ومن كان مطعمه حرام وملبسه حرام لن يستجيب الله

له ، ولن تفتح السماء أبوابها لدعائه ، مهما صلى وصام كما علمنا الرسول ﷺ . . وبداية التغيير أن يخرج الكتاب والمثقفون ومن تكرارهم المحل بالشكوى ، وفصاحتهم في التعبير عن الإحباط ، ليدوروا في فلك جديد للعمل لتكون جهودهم من أجل إيجاد رأى عام في المجتمع بكل فئاته وطوائفه وطبقاته تؤسس عليه إرادة عامة للتغيير ، وتدخل إرادة التغيير في خلايا عقل كل فرد ، وسلوكه ، وأحكامه على الأفعال والأقوال والأفراد الآخرين . .

ولو تحقق ذلك - أو على الأقل لو بدأنا فيه فسوف تتغير كثير من سلبيات المجتمع . . سوف يدرك معظم الناس مثلاً خطورة الوضع السكاني الذى يهدد حياة وأمن الأجيال القادمة ، ويدرك كيف يتكون أمور الوطن مع استمرار زيادة حاجته إلى استيراد الغذاء والاعتماد على المعونات . . وسوف يتغير التعليم من عملية شكلية (بودى أن أقول وهمية ) حيث يدخل التلميذ المدرسة لمدة أربع ساعات في اليوم في المتوسط ( ليفسح المكان لفترة ثانية وأحياناً ثالثة ) وتنتهى السلسلة الرديئة بتخريج أنصاف متعلمين لا يجيدون عملاً وكثير منهم لا يصلحون لعمل لأن التعليم لم يعدهم ولم يؤهلهم ، ولم يكسبهم مهارات حقيقية للعمل ، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن التهاون السائد في الأوضاع التعليمية منذ عشرات السنين قد انتهى بنا إلى انتشار أسوأ أنواع السلوك المعادى للعمل المنتج في مواقع العمل ( إلا من رحم ربي).

ولو فعلنا ذلك لحققنا ما يشبه المعجزة ونجحنا ، واستطعنا ملاحقة الثورة العلمية ، لو ادركنا صدق نصيحة الدكتور إبراهيم شحاته بأن الاستفادة بالثورة العلمية لا يتم بحلول بيروقراطية أو بمجرد إنشاء وزارة للبحث العلمى ، أو أكاديمية ، فإن ذلك لا يحقق إلا انشغال الاساتذة المتخصصين



وتحقيق الفاعلية والحيوية والحركة في المجتمع . وهذه البيئة الثقافية للتغيير والإيجابية والدافعة لكل فرد ليكون منتجاً ، هذه « البيئة الثقافية » لا تهبط من السماء ، ولا تأتي معونات من الآخرين ، ولكنها تتحقق - فقط - عندما تصبح لدينا بحق « إرادة التغيير » وأقصد: الإرادة السياسية ، والإرادة الشعبية ، وإرادة قادة الرأي ، وهم بفضل الله كثيرون عندنا ولكنهم مشغولون بأنفسهم بأكثر من انشغالهم بالوطن وبالمستقبل ، ونداء الواجب يدعوهم الآن - في آخر لحظة - ليتحركوا - ويعملوا ، قبل أن تضيع فرصة اللحاق بقطار التقدم ، وبعدها لن تسامحهم الأجيال القادمة . ولنضع امامنا قول الله سبحانه وتعالى ، خالقنا ، وخالق قوانين التقدم والرقى الانساني : ﴿ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ﴾ . وابسط فهم للقول الالهى ان التغيير لا يفرض من اعلى ، ولا من الخارج ، ولكنه يبدأ من الداخل ، من داخل كل فرد دون استثناء ، ومن مجموع الافراد الصالحين يتكون المجتمع الصالح ، والعكس غير صحيح ، والله اعلم .